الفجيعة المزدوجة...

سهيل ادريس

حين حمدنا اللّه تعالى على شفاء نزار قباني منذ بضعة أشهر ودعونا له بطول البقاء واستمرار العطاء[1]، كان بعيداً عن ذهننا أن يصاب الشاعر بالنكسة الفاجعة التي أدّتْ إلى غيابه صباحَ التاسع والعشرين من نيسان الماضي...

في ذلك الصباح، كنتُ في فندق «قصر الشرق» في مدينة تونس العاصمة، أتابع معرض الكتاب العربيّ حيث كان الإقبال شديداً على كتب نزار خاصّة. دقّ جرسُ التلفون في غرفتي. وسمعتُ صوت ابنتي رنا، مديرة «دار الآداب» تقول بصوت متهدِّج:

ـ بابا، اتّصلتْ بي منذ لحظات من لندن...

واختنق صوت رنا بنحيب خافت، فانفجرتُ صائحاً:

ـ ماذا؟ نزار؟...

غالبتْ رنا إحساسَ الفجيعة الذي كان يهزُّها، وقالت بعبارة متقطّعة:

ـ قالت هدباء إنها تعرفُ أنك كنت، يا بابا، أعزَّ صديق عنده، فقرّرتْ أن تكون أنت أوّلَ من تُبلّغه النبأ...

انفجرتُ باكياً، وسمعتُ صوت رنا الناشج، فلم أستطع أن أتماسك، وأغلقتُ سمّاعة الهاتف، مرتمياً على سريري أبكي بلوْعةٍ لم أحسّ بمثلها إلاّ يوم ماتت أمّي سهيْلة...

بعد أقلّ من ساعة، عاد جرسُ الهاتف يرنّ، وعاد صوت رنا يقول:

ـ بابا، كتب سماح النصّ التالي، باسمِكَ وباسمه، ويريد أن يأخذ موافقتك قبل أن يرسله الى الصحف ووكلات الأنباء:

«تَنْعي مجلّةُ الآداب ودارُ الآداب إلى الأُمّة العربية والشعب العربيّ عظيماً من العظماء، الشاعرَ العربيَّ الكبير: نزار قباني.

لقد كان نزار ضميراً من ضمائر هذه الأمّة في زمن الردّة والهرولة. وكان واحداً من مجدِّدي اللغة العربيّة، حين رَشَّقَها وجعلها تختالُ مَرِحَةً فرِحةً في أرجاء المجتمع. وكان صديقاً عزيزاً للمجلّة والدار منذ تأسيسهما عام ١٩٥٣ و ١٩٥٦ على التوالي، بل شارك في تأسيس دار الآداب عام ١٩٥٦.

ولهذا كلّه، فإنّ رحيل نزار قباني لن يوازيَهُ رحيل: فهو أعزُّ أخٍ وصديق، وهو أكبر الشعراء العرب، وهو أصفى الضمائر القومية.

نزار قباني... ستبكيك مجلّتُنا ودارُنا بدموع من نار.

وستحملُ أُمَّتُنا أشعارَك وتُقاوم بها وتنتصر. وأمّا لغتك العربيّة، فإنّها لن تخلع ثوبَ الحداد أبداً.

تحيَّة لك من مجلّتك ودارِكَ، ومن جميع العاملين فيهما فرداً فرداً. وسلامٌ عليك حيّاً وحيّاً وحيّاً، في أفئدتنا ونبضاتها. وإلى هدباء وزينب وعمر، ومعتزّ ورشيد وصباح وهيفاء، كلّ الحبّ والإخلاص... حتى الأبد».

بعد أن فرغتْ رنا من قراءة النصّ، قلتُ لها بنبرة مرتعشة:

ـ سلمتْ يد سماح. قبّلي عني أنامله!

اتّصلتُ بمكتب شركة الطيران التونسي، فحجزتُ مقعداً على أول طائرة تتجّه إلى دمشق، وكان ذلك مساءَ اليوم نفسه، وجلستُ أنتظر وصولَ صديقي عمر سعيدان إلى الفندق لأبلّغه اعتذاري عن عدم تمكُّني من

١ ـ راجع العدد الماضي من الآداب (الرقم ٤/٥، آذار/ نيسان ١٩٩٨).

اصطحابه إلى «سوسة» حيث كانت «ندوة المبدعات» العربيات ستُعقد بعد ظهر ذلك اليوم، وكنتُ مدعوّاً لحضورها. قلتُ لعمر سعيدان:

ـ بلِّغ الندوة النبأ الفاجع.

قال: وسنقف دقيقة صمت حداداً على روح الشاعر الراحل.

بعد منتصف تلك الليلة الحزينة، سافرتُ إلى دمشق، فوصلتُها في الساعة الرابعة فجراً، وبقيتُ يومين أنتظر وصول جثمان نزار قباني على متن الطائرة التي أرسلها الرئيس حافظ الأسد. ورأيتُ النعش يُنزَل من الطائرة وخلفَه أولادُ نزار: هدباء وعمر وزينب، وشقيقه رشيد، وحفيداه. وفي باحة المطار، تجمَّع أهلُ الشاعر الفقيد، وعلى رأسهم شقيقاه معتزّ وصباح، وشقيقته هيفاء، وأصدقاؤه.

شيَّعنا الجثمان الى مستشفى الشامي. ثم توجّهتُ إلى الشارع الذي سُمّي باسم «شارع نزار قباني»، ومشيتُ فيه والدموعُ تترقرق من عينيّ.

كان موكبُ المشيّعين موكباً عجيباً، لأنه كان يضمّ في صفوفه، لأوّل مرة في تاريخ الجنازات العربية، عدداً كبيراً من النساء، بمختلف الأعمار، وأكثرهنّ من الفتيات يرتدين ثياب الحداد السوداء. وكان بينهنّ الروائيّة السورية كوليت سهيل، التي سمعتُها تقول جهراً في القاعة التي تجمّع فيها المعزّون: «إذا لم نَسِرْ، نحن النساءَ، وراء نزار قباني، فوراءَ مَنْ نسير؟».

وظل الموكبُ ساعاتٍ، والناسُ ينضمّون إليه من كلّ صوب. ورُفع النعشُ على الراحات. وحين ووري نزار الثرى، شعرتُ بأني ربما كنتُ الوحيدَ الذي كانت فجيعتُه به مزدوجة: فقد فقدت أعزَّ صديقٍ في حياتي، وواحداً من أعظم الشعراء الذين أنجبتهم الأمّةُ العربية.

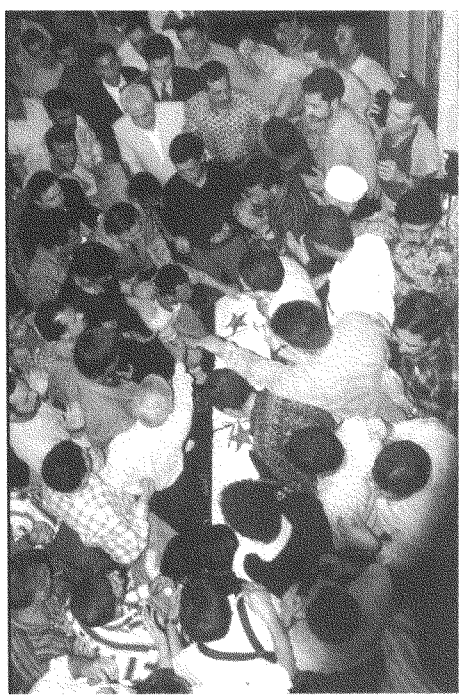

رسائل
نزار قباني
إلى
سهيل ادريس

أَحتفظ، في أوراقي، برسائل كنتُ تلقّيتها من الصديق الراحل الشاعر نزار قباني، حين كان في السلك الدبلوماسي ممثّلاً للجمهورية السوريّة.

وتعود الرسائل التي أنشرها، بعد غيابه، الى الأعوام ١٩٤٩ حتى ١٩٥١. وقد أضفتُ إليها ثلاثَ رسائل بعث بها إليَّ من لندن بين ١٩٩٢ و ١٩٩٥؛ والاثنتان الأخيرتان على شكل فاكس.

أما سببُ انقطاع الرسائل بين ١٩٥١ و ١٩٩٢ فيُعزى إلى أن المرحوم نزار عاش معظم هذه الفترة في بيروت، وكان مكتبه غيرَ بعيدٍ عن مكتب دار الآداب، وكنا نلتقي كثيراً، أو نمارس رياضةَ المشي، إما في مصيف «صوفر» الذي كنّا نصطاف في قرية قريبة منه تُدعى «بعلشمية»، أو على كورنيش البحر في بيروت. ولذلك لم تكن بنا حاجةٌ إلى التراسل.

أما حين رحل نزار ليعيش في لندن، بعد غياب زوجته بلقيس في حادثِ نسفِ السفارة العراقية في بيروت ـ وكان يخاف على ولديه زينب وعمر في أثناء الحرب الأهلية في لبنان، وعهد في وكالة «منشورات دار نزار قباني» لـ «دار الآداب» وكالة حصرية ـ فكنا نتواصل عبر الهاتف معظم الوقت، أو نلتقي بمناسبة المؤتمرات أو مهرجان المربد في بغداد أو الأمسيات الشعرية في بيروت أو في الإمارات العربية المتحدة حيث دُعي منذ سنوات قليلة لتسلّم جائزة العويس الثقافية وأحيا أمسية شعريةً مشهودة.

وأعتقد أن أهمية رسائل نزار المنشورة هنا تعود الى حديثه عن قصائده وعن قصيدة **سامبا** بصورة خاصة وعن روحه المرحة و«نرجسيته» المحبّبة...

ولا شك في أن كثيراً من آراء نزار وآرائي الواردة في هذه الرسائل قد تغيّرتْ أو طرأ عليها تعديل، بعد مرور زهاء خمسين عاماً، وأنه قد يكون فيها ما يسيء لسمعته أو سمعتي. ولكني حرصتُ على إثباتها كما وردتْ في الرسائل لمزيد من الأمانة والصدق.

رحم الله الشاعر نزار قباني وعوّض الشعر العربي منه خيراً.

سهيل إدريس

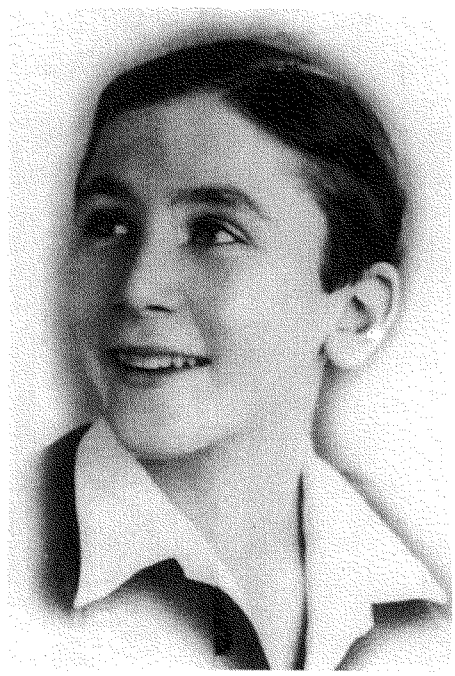

نزار قباني
عام ١٩٣٥،
دمشق

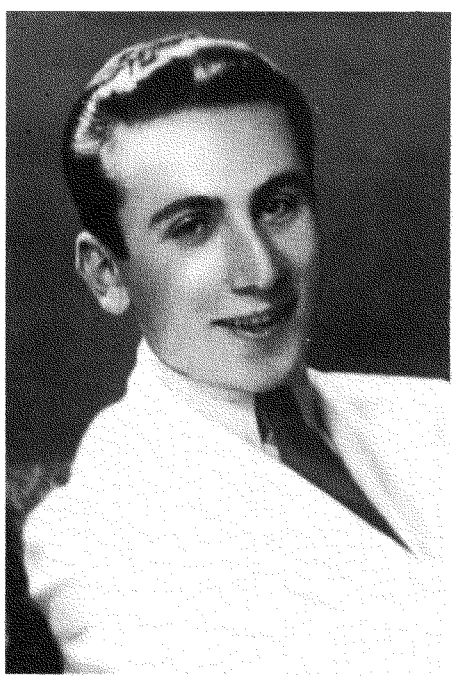

طالب في
كلية
الحقوق
بدمشق،
١٩٤٤

بعد تسلّمه جائزة سلطان العويس للإنجاز العلمي بتاريخ ١٩٩٤/٣/٢٤، دبي

على كورنيش بيروت مع زينب وعمر ١٩٧٥

في منزله اللندني، ١٩٩٧

أنقرة * في ١٩٤٩/٦/١٨

أخي الحبيب سهيل

ألْثُم شاربك المنفتل كأنه دورة الهلال.. وأُودِعُك ما تُودِعه النحلة على شفةِ السوسنة من خيرٍ وعصير. وبعدُ، فلا أزالُ أرتقبُ جواب رسالتيَّ الأخيرتين اليك. والأولى منهما أرسلتُها بالبريد المسجّل حاملةً إليك **سامبا** التي لم أعرف حتى الآن مصيرها. أرجو أن لا يكون حرُّ بيروت هو الذي أقعدك.. عني.. وعنها.. وأن يطلعَ عليك الشاطئ المخضلّ.. بنسمة مرطوبة.. وبوداد خانم[١] أخرى.. تنسيك ما تعانيه من لهب الجوّ.. واحتراق الأعصاب.

ما هي أنباء «نسائك كلهن»...؟[٢] وكيف توزيعه، ودرجة ذيوعه؟ أرجو أن تكتب لي في هذا الموضوع، لأنني أتمنى أن أراك تتكئ على أضلاع القمر..

أبعثُ إليك ـ كما أَمَرْتَ ـ بأربع قصائد.. أرجو أن تجد لديك مقاماً وحظوة، وأن تُعنى لي بإخراجها وانتقاء رسومها بما أعرفه ويعرفه العالمُ عنك من ذوقٍ ونعومة.

أرجو أن توزِّع هذه القصائد بين **الصياد وبيروت المساء**، وأن تدفع الى **الأديب** بقصيدة «الظِّفْر الصبيغ».. راجياً الأستاذ البير[٣] أن يُفْرد لي صفحةً خاصة لها.

لا أزال أنتظر عدد **بيروت المساء** الذي نَشرتُ فيه قصيدة «الزعيم»[٤]، وأرجو أن توافيني بعددين أو ثلاثة منه.

تحياتي الى الأستاذ سعيد[٥]، وقد رأيت صورته مع الزعيم فاطمأننتُ وحمدتُ الله على هذه النهاية... والصلحة التي ننتظر حلوانها.

ألف تحية مخضلّة للحبيب الشهم الأستاذ عبدالله المشنوق[٦].

وانعمْ لأخيك

نزار قباني

---

* ـ كان نزار قباني قائماً بالأعمال في السفارة السورية في انقرة.

١ ـ اسم فتاة في مصيف «عيناب» كنتُ أحبّها، وكتبتُ عنها في رسالة لنزار.

٢ ـ عنوان كتاب (أصله: **كلهنّ نساء**) هو المجموعة الثالثة من أقاصيصي (صدر عام ١٩٤٩).

٣ ـ صاحب الزميلة **الأديب**، المرحوم ألبير أديب.

٤ ـ حسني الزعيم، صاحب الانقلاب العسكري الأول في سوريا.

٥ ـ المرحوم سعيد فريحة، صاحب مجلة **الصياد**.

٦ ـ الأديب والصحفيّ، أحد المرحومَين صاحبي مجلة **بيروت المساء**.

أنقرة في ١٩٤٩/٦/٢٣

أخي الحبيب سهيل

تزعمُ أني قسوتُ، وأنني شتمتُ. ولكنْ سها عنك أن تضيف إليهما.. أني أحبك، والحب وحده هو الذي كان دافعي الى القَسْوة.. أما الشتيمة فهي من تلحينك وإخراجك.. لأنني لم أشتم.. ولكنني ثرتُ.. وانفعلتُ..

تألمتُ لشيء واحد وهو أنْ يشوِّه أحدُ المجانين.. الهالةَ المضيئةَ التي كانت تغلِّف كتابَكَ في مستهل صدوره.. وأن تَعْمد ـ أنتَ بالذات ـ إلى نشر أقوال المجنون الموما إليه.. في مجلة **الصياد** التي تمتلك ـ أنتَ بالذات ـ زمامَها..

الخطيئة لا شك خطيئتك يا سهيل.. لأنّ المجانين لا يحاكَمون على أفعالهم لأنهم مسلوبو الإرادة.. والعتبُ على الذي يَطْلب الى حليم امّه [؟] أن ينقد كتابه.. ثم ينشر ثرثرته. ولما كنت أؤمنُ بأنّ الأثر الفنيّ يجب أن يُزفَّ الى الناس كما

تُزفُّ العروس.. فقد أخطأتَ أنت بدعوةِ هذا الرجل الى حفلةِ زفافِ كتابك لأنه دخل دار الفَرَح بثياب سكّير..

نهايتُه.. لا تؤاخذ أخاك نزاراً اذا ثارتْ نخوتُه من أجل عينيكَ..

أشكرُك لكل المجهود الذي بذلته من أجل **سامبا**. وأنا أؤمن بما تؤمِنُ به دار العلم للملايين[1] من أنّ للقراءةِ مواسمَ وفصولاً.. لأنّ الصيف لذة الجسد والشتاء لذة العقل.. والتريّث في الإصدار معقول.

فيما يتعلّق بنصيبي من **سامبا** فإنّ المائة وخمسين ليرة.. لا تكفي لنفقات سَكْرَة محترمة مع سعادتك في حانةٍ من حانات بيروت.. وأنا أفضّل أن أتقاضى بهذا المبلغ نسخاً. وأعتقد أن حصّتي ستكون ٣٠٠ نسخة، وأما بصدد العدد فإنني اقترح ١٨٠٠ تصبح بعد أن أستوفي حصتي ١٥٠٠ وهو العدد الذي اقترحته أنت.

أنا الآن واقع في حيرة.. فإنّ عندي مجموعة شعر بحجم.. **طفولة نهد**.. فهل أطبعها هي أولاً.. أم أطبع **سامبا** وأجعل بينهما فاصلاً زمنياً؟ وهل تفضّل دار العلم طبع المجموعة الشعرية.. أم طبع **سامبا**؟

أريد رأيك النصوح في هذه القضية.. لأن لدينا متسعاً من الوقت للتفكير..

بعثتُ إليك ببعض القصائد للنشر أرجو أن تكون قد وصلتك.

سررتُ مع زهراء[2] كثيراً لنجاح العزيزة وجيهة[3] في فحص الليسانس، فقدِّمْ لها باسمي وباسم زهراء التهنئة العميقة، راجين لها في لندن المجد والخير العميم.

أما سفرك الى باريس فإياك والتهاون فيه.. أو أشتمُ!

تحياتي للأستاذين سعيد[4] وعبدالله[5] والأخ الحبيب انطون[6] الذي لم يجبني على رسالتي؛ فهل سافر الى مهجره وملعب مغامراته أم بعد؟

ختاماً، لك من أخيك كلّ الحب واللهفة.

---

١ ـ الدار التي نشرتْ قصيدة **سامبا** لنزار في كتيّب عام ١٩٤٩. وكنتُ قد أوليتُ صدورَ **سامبا** اهتماماً خاصاً في الصحف والمجلات وأشرفتُ على إصداره عن الدار المذكورة.

٢ ـ الزوجة الأولى لنزار (وقد حصل طلاقٌ بينهما فيما بعد).

٣ ـ شقيقتي، زوجة الرئيس شفيق الوزّان، وكانت قد حصلتْ على دبلوم في إحدى الكلّيات بالقاهرة.

٤ ـ سعيد فريحة صاحب **الصياد** وكنت أعمل محرّراً فيها.

٥ ـ عبدالله المشنوق، أحد صاحبي **بيروت المساء**، وكنت أعمل محرّراً فيها.

٦ ـ انطون متري، أحد محرّري **الصياد**.

أنقرة في ٤٩/٨/٢٢

عزيزي وأخي سهيل

لا تؤاخذني على احتجابي عنك كل هذه المدة الظالمة. فلقد مرتْ بالمفوضية وبالبلاد أحداثٌ أنت عالمٌ بها، وأنا الآن قائمٌ بأعمال المفوضية في أنقرة، مدينةِ السلك السياسي الكبرى وملتقى أطماع أكبر قوى العالم. وإذا قلتُ لك إنني أقوم بالأعمال فمعنى ذلك أنني أكتب المذكّرات، وأتمّم المقابلات، وأستقصي الأخبار، وأتحدّث الى الصحافة، وأضرب على الآلة.. التي لا تطربني.. وأنا أعمل الآن سبع عشرة ساعة في اليوم ولا أنتهي. ومع ذلك الجهد الجهيد فأنا أجد لذةً في خدمة بلادي.

قرأتُ في **الصياد** أنك سترحل الى فرنسا قريباً.. فانتفض قلبي من مكانه.. وسعيتُ في موكبك المرسوم بالبريق.. وتمنيتُ لو كنتُ خيطاً في بُرْدتِك لأشرب من عبير تلك التربة المسقسقة بالوهج والملذّات..

لا أعلمُ متى ستغادر بيروت، ولا أعلمُ متى ستطأ نعلاك الأرضَ الطيبة. ولكن كل ما أرجوه هو أن تتذكرني.. في كل مشرب.. وعلى كل مائدة.. وأمام الزنانير التي استحالت خصراً.. من ضراوةِ الوجد.. وولولةِ الضمّة..

لم أقرأ قصيدتي «الظُّفْر الصبيغ» في **الأديب**.. فهل هناك ما حال دون نشرها؟ أرجو أن تخبرني بالأمر.

أخي سهيل

كلفني الوزير المفوض الذي ترك أنقره، وهو الدكتور حسان بك الشريف، أن أرجو صديقه الأستاذ عبدالله المشنوق أن ينشر الكلمة المرفقة بهذه الرسالة عن وداعه في أنقرة في **بيروت المساء**. ولا بأس أن تنشر أنت هذه الكلمة في **الصياد**. مع ملاحظة أنني لا أريد أن يؤتى فيها على ذكري بل يُكتفى بنشر الكلمة باعتبارها من مراسلكم في أنقرة، لأنني لا أريد أن أُمسّ مسلكياً.. كيف الشقيقة الغالية وجيهة، وهل ما زالت مصممة على الذهاب الى لندن؟ بلِّغها تحيتي وتحية زهراء التي تبعث إليك بتحيتها الخالصة.

سلامي الى الأساتذة الأصدقاء عبدالله بك وسعيد بك. والى الأخ انطون الحبيب اذا كنت تراه.

واسلمْ لأخيك المحب

عزيزي وأخي

وصلتني قبل أن أضع رسالتي في البريد رسالتك. وأنا لا أريد أن تَشْمت بي لمصرع الزعيم[1]. لقد مدحتُه لأنني قدرّتُ أنه سيخدم بلادي ويزرع أرضها نعيماً وعبيراً.. ولكنه أخلف ظني وظنَّ جميع الناس قطعاً.. وزرع الشوكَ مكانَ الريحان. فإذا انجرفتُ أنا في تياره.. فلقد انجرف في هذا التيار كثيرون.. وأنا أحمَد الظروف التي كشفتْ جوهر هذا الرجل بسرعة..

أخي: أريد منك أن تشير في **الصياد** بكلمة تكتبها أنت بقلمك الجميل الى قيامي بأعمال مفوضية أنقرة، ونجاحي في عملي في هذا الظرف الذي مرت به سوريا، والمساعي الطيبة التي بذلتُها لحفظ العلاقات الوديّة بين سوريا وتركيا. وإذا أمكن وضعُ صورةٍ لي من التي أهديتك إياها فأنا أكون من عارفي فضلك السابق واللاحق.

أشكرك على حسن ظنك بشِعري وبي.. وأعدك بأن لا أتحدّث إلا عن النهد المكوَّر كإبريق الفضّة..

قبلاتي من خدّ الأستاذ عبدالله المشنوق ومن عيونه.

واسلم للمحب المشتاق

---

١ ـ حسني الزعيم.

انقرة ٤٩/١١/٢٣

عزيزي سهيل

ما أعظم الشوق الذي يأكلني إليك في هذه الأيام، وما أكثر ما تلحُّ على جبيني صورتُكَ في هذا الوقت الذي يكسو الخريف فيه كل شيء بطابع العُمْق، والشحوب، والفكر. أنا على نافذتي الذاهلة الشاحبة الأستار، أراقب الوريقات الصفر تتكوّم كأكداس الذهب، واحدةً فوق الأخرى، بعد أن نشفتْ عليها الخضرة، وبعد أن عَصَرتْ رحيق عروقها، فأرضتْ ألف عاشق، وألهمتْ ألف شاعر ورسّام وقصّاص.. أنا وحدي الآن، ألقطها واحدةً، واحدةً، وأتفرّج على ذلك البدن الشاحب الذي أحبّه أكثر من حبي للبدن الممتلئ الدافق لوناً وبياضاً.. لأن الذكرى لديَّ أحبّ من الواقع، ولأن الورقة الصفراء هي الورقة الخضراء ملقّحةً بغرامٍ فاشل، أو شفاهٍ محروقة، أو ذكرى تائهة..

أقول إنني أذكرك، كلّما انفتح شباكي على هضبةٍ رمادية، وكلّما أوقدتُ غيومي لأهدّئ لفحة الثلج في أعصابي، ورعدة الحب في عظامي. آه كم أريد أن أكون معك، لأريك كيف أجعل باريس لحناً ينبعُ من عيوننا وقصيدةً تُكْتب بجروحنا.. سأعرّفك على باريس قبل أن أعرفها أنا.. لأنني عرفتها بأصابع جبيني، وخيال خيالي.. وأقدام أوهامي.. لن أدعك تحنّ إلى البسطا والكبوشية[1] وحواشيهما.. ولن أدعك تكتب الى الأستاذ المشنوق أنك في كآبة في مدينة

---

١ ـ حيّان من أحياء بيروت الشعبية.

النور. أنا وحدي، سأريك كيف استخرجُ النارَ من العتمة.. والموعدَ من التمنّع.. والحبَّ من الكراهية.. والعطرَ من النتَن.. لا تكن يا سهيل كالصبيّ المذعور، فأنتَ اجرأ مَنْ وجَّه شراعاً.. وهزّ جناحاً. فهل يقولون بعدها إنّ سهيلاً خافَ.. أو كبا.. في هَرَج باريس وزحمتِها؟

إنّ أمَّك الجميلة ـ التي أحببتُها من وهج مقالك لها ـ تنتظرُ صواري سفينتك العائدة، وصباحَ جبينك الفسيح*. فإيّاك أن تعود إلا بالدكتوراه. استعمِل الوساطةَ، والرشوةَ إذا أردتَ لأنَّ لها في باريس سوقاً، ولا ترضَ بالليسانس لأنها نجاحُ الفشل، وخرقةٌ رقيعة.. وإذا كانت المقاصد[1] توافق على دراستك العلوم السياسية مع الصحافة فذلك ما أريده لك، لأنّ العلومَ السياسيةَ ستتيح لكَ دخول الخارجية التي ستغذي آفاقك، وقلبك، وجيبك.. أما علم النفس فإنّ الحياة وحدها مدرسة لعلم النفس، ولستَ بحاجة الى دراسة نظريات اللذة، والغضب، والهيجان، وفقدان الذاكرة.

أرسلتْ دار العلم إليَّ نسخةً واحدة من **سامبا** أمس. ولا أنكر أنهم تقيدوا بجميع نصوص كتابي إليك، وأنهم استطاعوا أن يبلوروا خيالي على الشكل الذي أرضاه. فلك الشكر أولاً ولهم ثانياً. إذا وصلتك **سامبا** فحرّكْ ريشتك من باريس على اسمها.. فأنتَ أحبُّ ناقدٍ الى قلبي سواء مدحتَ أم هجوت.

لا أدري إذا كانت الدار ستهدي [نسخاً] الى أصحاب المجلات الأدبية والصحف لأنّ عليَّ ديْناً للصحف التي أعلنتْ عنها ولاسيما **الصياد وبيروت المساء**. أرجوك أن تنبّه الدار إذا كتبتَ لها الى هذا الموضوع.

كيف مشاويرك الليلية مع صباح[2]؟ اذكراني بالخير..

زهراء تبعث لك بالتحيات الطيبات. وهدباء وتوفيق[3] بصحة جيدة ويدعوان لعمهما سهيل. واسلم للمحب المحب.

---

* ـ تُرى هل كانت هذه الصورةُ «السفينيّةُ» التي يتحدث عنها نزار وراء المقدّمة التي كتبتُها لروايتي **الحيّ اللاتيني**، ووراء خاتمتها ايضاً؟!

١ ـ جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي اعطتني منحة للدراسة في باريس.

٢ ـ اخو نزار، وكان معي في باريس (وقد اصبح فيما بعد سفيراً لسوريا في واشنطن).

٣ ـ ابنة نزار وابنه (الذي توفّي وهو في زهرة العمر).

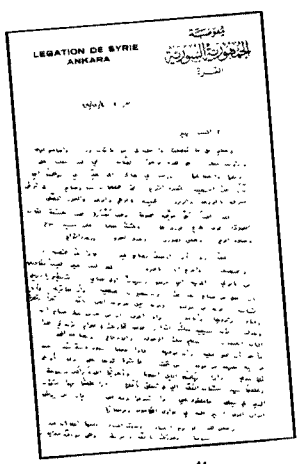
LEGATION DE SYRIE
ANKARA

انقرة في١/١٢/٤٩

أخي الحبيب سهيل

وصلني كلُّ ما تفضلتَ وأرسلتَه لي من طاقاتِ ورد.. وأضاميم لهفة.. وشربتُ معك كل هذه الأجواء الفتّانة.. التي كنت تتقلبُ على رونقها وأصباغها.. ووصل بي خيالي الى حدِّ أنني توهمتُ أنني ربّان تلك السفينة المتكبرةِ الشراع التي حملتكما ـ أنت وصباح ـ الى شواطئ مسربلةٍ بالزبرجد والزمرد، غميسةٍ بالوهج والوجد والبَخُور المصلّي..

لقد لثمتُ كلّ مُويْجةٍ مجنونة ذبحتْ نَفْسَها تحت خشبةِ القارب العملاق الذي جرَح الزرقة بكما.. وعشتُ معكما، على نشيد الموج.. وصلاةِ الريح.. وخفق الصواري.. وحدو النجوم.. ورعدة الشراع..

كنتُ أريد أن أوصيك بصباح خيراً، فإذا بك تحتضنه، ويحتضنك، وأخرج أنا «باصرة».. لقد بكيتُ حين تلقيتُ بطاقتيكما من ناپولي.. المدينةِ التي عرفتُها وشهدتْ أول صباي.. تستطيع يا سهيل أن تجعل من صباح أخاً لك.. وتستطيع أن تصطفيه، وأن تعايشه، وأن تساكنه.. لأنه من كوكبنا، ولأنه يحملُ جرثومةَ الفن، تامّةً، شعراً.. وتصويراً وغناءً.. وتزويقاً.. وأناقة. وأنا أعرف أنّ من حسن حظ صباح أنه وَجَدَك.. لأنه سيفيد منك كثيراً ـ لا من تجاربك في الغرام لأنه في هذا الباب أخبث ـ [بل] سيتعلم منك الرجولة، والاندفاع، ومصارعة المجد. فأرجو أن تحنو عليه وأن توجّهه. فإذا ضمّكما بنسيون مسقسق.. عند فرنسية ملتهبة من فوق.. ومن تحت.. فاشربا قدحاً على شرفي.. أو على قلة شرفي. وإذا أنهكتما الليلَ انفلاتاً.. وأجريتُما اللذةَ براكينَ مسفوحة.. وعلقتُما بنهدٍ كشباب القُلّة التي لم تنفلق بأكملها.. إذا علقتُما بهذا الشيء الذي لم ينفلق.. فافلقوه عني.. واستنزفوا دمَه عني.. فإنّ ذلك يرضي التراب الذي

أسير عليه في بوادي الأناضول ومرتفعاتها.

وصلني هذا الأسبوع **الصياد**.. و**بيروت المساء**، وفيهما إعلانان عن **سامبا**، وصورتك باللفّة والبرنيطة.. وهي موفقة للغاية..

لا أدري متى ستصدر **سامبا**، وهل سيرسلون إليَّ الى هنا النسخَ لأبعث لك بنسختك؟ وستفوز منك **سامبا** بلمساتٍ على ما أظن، سيما وأنتَ الآن تعيش في جوّها الحارق..

أرجو أن توافيني مع «صباح» بكل أخباركما، وأين حططتما رحالكما.. وهل انتسبتما للجامعة أم بعد.. وأيّ فرع اخترتما؟

في اليوم الثاني والعشرين من تشرين الأول ـ أي وأنتما على زرقة البحر ـ أصبحتُ أباً للمرة الثانية.. لغلامٍ اسميتُه «توفيق» تيمناً باسم والدي. وهو جميل أشقر بعينيْن زرقاوين..

ختاماً تحمّل من أخيك وجدَهُ وحبَّه. ولك ولصباح قبلاتي التي لا تعرفُ كيف تنطفئ.

أنقرة في ٤٩/١٢/١٠

يا شاهري.. ومشهِّري..

إذن فأنت بريءٌ مما قاله أخي صباح.. عن الشهرة التي خلعتها عليَّ، وأنت مسكينٌ كبير أكَلَ لسانَكَ القطُّ.. وأنا لا أحب أن أقول لك إنك لم تغنّ في مهرجان مجدي وتحرق البخور في عُرس شهرتي.. ولكن لماذا يلذّ لك دائماً أن تتبجح بهذا أمام ألوف القراء؟ فهل هذا الذي تفعله تشهير.. أم شُهْرة.. يا قارورةَ الكبرياء والغرور!؟..

إنني لم أقصّر معك يا سهيل. لقد بريتُ قلمي وأطلقتُه كمروحة الطِّيب، في أثرك، فحمَلَ رداءَك، وطيبَ بُرُودك، وحَدَا هودجك، وأنتَ لا تستطيع أن تنكر أنني لوَّنتُ مداك، ونثرتُ أضاميمَ القرنفل على دروبك، وجعلتُ اسمكَ على جبينِ نجومِ بلادي.. وحفرتُ مجدك على شواطئ القمر الطالع.

غير أنني لم أغرقك بالمنّة.. لأنني كتبتُ عن قناعةٍ وضميرٍ نقي. أما أنت فلا تعرفُ كيف تسكت.. يا ملعون.. يا أحبَّ ملعون على قلبي...

انتهينا الآن من الرذالة.. كيف حالك يا سهيل وكيف دراستك؟ هل أستطعت أن تدخل فرع الدكتوراه، وأيّ فرع اخترت؟ ما هو بارومتر.. الحبّ لديك، وكم «فرخة» اصطدتَ حتى الآن؟. وأين تقيم.؟ وما هي أسماء صديقاتك؟ سؤال سخيف ولكنه يفشّ قلبي.. هل كتبتَ قصصاً جديدة في جوّك الجديد.. جو «الشاتوبريان».. لا «قاورمة» بيروت؟. أريد جدولاً بكل هذه السؤالات..

هل أعجبتك الـ **سامبا**؟ إنني أنتظر رأيك فيها منذ أسابيع، رأيَ الناقد الفنّان الذي يلفّه جو باريس بدفء السامبا وعريها وجنونها..

إذا كنت ستكتب عنها في **بيروت ـ المساء** فأرجو تكليف صديقك الأستاذ [قدري] قلعجي الكتابة عنها في **الصياد** وبصورة مفصّلة.

بعثتْ إليَّ دارُ العلم «بسبعين» نسخة من **سامبا**، ولم أتلقّ من أصحاب الدار أية رسالة أو إشارة برغم كتابتي للأستاذ [منير] بعلبكي.

هل تقترح عليَّ إرسال بعض النسخ إلى باريس لتوزّعها أنت على مَنْ تتوسم فيهم الذوق؟!. أكتبْ لي عن رأيك لأعمل على تلبية رغبتك.

كيف مجالسك مع صباح ومظهر[1]؟ وهلاّ زلتم فرسان باريس الثلاثة؟ وفقكم الله وكتب علينا ما كتب عليكم.

واسلم لأخيك المحب، وإلى اللقاء

---

١ ـ المحامي مظهر الشوربجي (وقد أصبح فيما بعد وزيراً للوحدة في الجمهورية العربية المتحدة).

أنقرة في ١٩٤٩/١٢/٢٩

سهيل إدريس، وصباح قباني، ومظهر الشوربجي

أيها الراكبُ رأسه..

لَنْ أستغرق في سَرْد أفضالي عليك، وعلى بريق اسمك، فإنّ آثار إزميلي لا تزال تتنهد عند انجعادِ جبينك، ومهاوي صدغَيْك. وإذا شئتَ أن لا تؤمِنَ بنَقْرةِ مطرقتي الملحّنة، فلستَ أولَّ من يجحد نعمة ربّه.. ويكفر بمولاه..

رذالتُكَ جميلة، وقد أعجبتني.. لأنني لا أحبُّ الأدباء المستضعفين.. لكنّ ما أسفتُ له هو أنك حسبتَ هزلي جداً.. فكتبتَ لي تقول إنني لا أقدّر النكتة الموفقة.. مع أني أنا الذي بادهتك بالتنكيت.. فلم تفهمني جيداً. لقد أردتُ أن «أغيّر موضة» رسائلي إليك.. وخطر لي أن «أشتمك» قليلاً فاذا أنت «تقبضُها».. وتضع، في رسالتك لي، نهراً.. من غرورك المعروف، وزهوك (الذي حفظناه على الغيب).. وإذا بدستويوفسكي شارعِ الكبوشيه يهدّدني بحذفِ اسمي من قائمة الخلود.. بجرّة قلم..

يا سهيل ادريس.. إيدي بزنّارك.. هذا إذا أبقت لك باريس زنّاراً تتمسّك به!..

أحسنُ ما في رسالتك وأشرفُ سطورها قولك ـ وأنت سيّد الصادقين ـ إنّ **سامبا** لا تُنقد وإنما تُعشق وتُشْرب وتُحَبّ... هذه أحسن جملة كتبتَها في حياتِك.. لقد كنتَ في مرتبةِ الآلِهة حين رسمتَها على الورق.. ولكنك فجأة ترتدّ الى حضيض الشياطين، حين تقول «بَسْ.. آخْ.. لو وصلتني رسالتك قبل أن أبعث بنقدي الى **بيروت ـ المساء**».. ماذا كنت تفعل؟ كُنْتَ نتّفتني بأسنانِك، أليس كذلك؟ أهذا هو ضمير النقد لديك؟ وهل الأثر الفني هو الذي يملي عليك ما تكتب؟. أم أن صلاتك بالناس هي التي تلعب بميزانك؟.. لقد فضحتَ نفسك يا سوسو..

هل أقول لك كلمة نظيفة؟. إنك لن تستطيع على **سامبا** شيئاً.. لأنها تحفة التحف.. وسيدة القصائد.. وغانية الغواني.. هل فهمت يا دادا..؟

عزيزي سهيل، أنا أتابع مقالاتك في **بيروت ـ المساء** عن الحب، وقد لمستُ دمَ الواقعية والشبَع ينزفُ من أحرفك. خطوة جديدة تخطوها، فمرحى لك. إن الذي يقرؤك الآن يشعر بسهيل ادريس ثانٍ.. سهيل ادريس الذي يتكلّم بلغة الأرقام.. والدم النازف، والشفاه المختلجة.. فرق كبير بين من كانت بضاعتُه الأوهام.. فأصبحت أكوام الأثداء.. أرجو أن تهتم بأدب «Sartre» فهو سيّد الواقعية دون منازع. موضوع أطروحتك[1] موفّق، ولكن مراجع بحثك «ضئيلة» لاسيما والقصاصون المعاصرون لم يتميزوا بمدارس خاصة، واضحة المعالم. وأنا أقترح ـ تسهيلاً لعملك ـ أن تتحدث عن تاريخ القصة العربية، وترافق سيرها، وتعود الى **ألف ليلة**، وقصص أبي زيد، ثم تنهي بحثك بفصلٍ عن القصة العربية المعاصرة. هذه الطريق أسهل لك ولن تعدم المراجع التي ستكون خير عونٍ لك.

لم يصلني نقدك لـ **سامبا** حتى الآن، وهو لن يكون إلا جميلاً ولو فيه تجريح. وربما أجبتك على صفحات **بيروت ـ المساء** إذا رأيتُ المجال مناسباً.

رأي صباح [قباني] في محله.. فإننا مصابون الآن «بإسهال» انقلابات.. وأنا لستُ متفائلاً في مستقبلنا يا سهيل.. لأننا أقزام في حكمنا لأنفسنا. وما دام الشاويش يريد أن يصير ماريشالاً.. فإنّ نجاحنا بعيد.. والمستقبل زفت..

أبعث إليك مع زهراء والى صباح بأنقى الوجد. ولا أنسى الصديق العزيز مظهر [الشوربجي]. وإياك أن تعود الى الرذالة. كما أنني لن أعود، لأن مثل هذه البضاعة وقف على علي الطنطاوي[2].. واسلم لأخيك المحب

---

١ ـ كان موضوعها «الرواية العربية الحديثة والتأثيرات الأجنبيّة عليها».

٢ ـ الكاتب السوري المعروف الذي سبق أن نقد نزار قباني نقداً شديداً.

أنقرة ٥٠/١/٦

الغالي سهيل

اذا كانت «**سامبا** نزار قباني» قد ألهبتْ عصبَك، وأيقظتْ في وسطك شهوة الرقص والتميّد.. فإن نقدك «لـ **سامبا** نزار» قد زلزل كشحي، وأماتَ قواي، وجعلني كأفعى الهنود البوذيين، لا تعرفُ الا التلوّي، والانفتال، على حداء الرصد.. وعذابِ الآه..

كنت أعرفُ من قبل أنّ من الشعر ما يُرقص.. وأنّ لبعض القوافي إمكانيات العُود.. وقدرةَ الترقيص.. ولكنني لم أكنْ أعرف أنّ النثر يستطيع أن ينفضَ الخصر.. وأن يحطّمه.. ويهدمه.. حتى كتبتَ نقدك!

أردّد هنا أيضاً، أن نقدك للشعر يعجبني، لأنك تعيش هذا الشعر، وتندمج فيه اندماجاً يكاد يكون فناءً.. لقد ذُبْتَ في ضمير الوتر.. وفنيتَ في دمدمةِ الطبول.. ولوّنتَ بجروحك جروح الكمان.. فإذا «**سامبا** نزار قباني» تصير «**سامبا** سهيل ادريس».. وإذا بنا لا نلتفت الى البرازيل حيث وُلدتْ هذه الرقصةُ الخاطئة، وإنما نلتفت الى أعماقنا حيث تنهمر **سامبا**.. بلونِ الغريزة المشتعلة.. والرغبة الشرسة.. وإذا كلُّ عرقٍ من أعراقنا جوقةٌ بصنوجها ودفوفها.. وإذا الدم الذي يدفق في فراغ هذه العروق.. يرضع من ثدي «سامبا».. الرقصةِ التي رضعتْ من حليب أفعى..

هل تعرف يا سهيل أنك أوّل ناقد في الأرض تعلّم موضوعَ الكتاب الذي سينقده حتى لا يظلم الكتاب بجهله وتجنّيه؟ وهكذا، فقد أبيتَ أن تمسك **سامبا** بيديك، قبل أن تعرف خصائص هذه الرقصة.. وغواياتها.. وتثنّيها.. و«حركة الطيّ» فيها.. وقبل أن تختبر بيدك.. وثغرك، وذراعك، وشهوتك،.. هذه الرقصةَ التي تتفجّر كأعواد الكبريت.. وأفواه البراكين.

وهكذا كان.. حين وصلتك **سامبا**.. على الورق.. كانت راحتُك قد أزهرتْ تحت إلحاح الخصر الهضيم.. ونخوة الحلمة المراهقة.. وانسفاح الشعر الأشقر.. وكُنْتَ قد أحطتَ بأغوار هذه الرقصة.. دَفْعِها وجَذْبِها.. طيّها ونَشْرِها.. لينها ووحشيّتها.. حتى إذَا جلستَ الى ريشتك لتنقد.. كان كلُّ شيء حاضراً لديك: الطيب في أنفك.. وبقايا الخصر وأشلاؤه على ذراعك.. وحفيفُ «التول» الأسود في مسمعك.. ونقراتُ الخاصرة الغنوج ترنّ على صفحة أعصابك.. وطعناتُ النهد المفضّض تورق على ضفاف قميصك..

لقد عُدْتَ الى رأيي في أن الناقد يجب أن يقف أمام الأثر الفنيّ الجميل موقفَ العابد.. لا موقفَ القاضي ولا موقف الناصح. فأنا حين طلبتُ في **طفولة نهد** من الناقد أن لا يمزّق القصيدة.. ويحلّلها الى أجزائها لأنه بذلك «يقتلها»، أنكرتَ عليَّ ذلك، وقلت إنه ليس للأديب أن يطلب مثل هذا الطلب من الناقد لأن فيه تحديداً لاختصاصات ورسماً لطريقة.. وهذا لا يكون..

واليوم، تعود، فتتبنّى هذه الحقيقة، وتقول: لا يمكنني أن أحلّل **سامبا** وأردّها الى أجزائها، لأن التحليل يشوّهها، فلنقرأ هذه القصيدة على أنها «كلٌّ» لنتبين مواضع الجمال فيها.

وهكذا فعلتَ.. وهذا هو سبب نجاح نقدك. ألم تأخذ كلّ خمسة مقاطع معاً لتستشهد بها؟ وأنا على يقين، من أنك كنت تريد أن تثبتَ القصيدة كلها في مقالك ـ لو تيّسر لك ذلك. مع ذلك، فلقد كنتَ تنتقل من صورةٍ الى صورة، ومن لوحةٍ الى لوحة.. بخفّة النحلة.. ورشاقة الفراشة، حتى استطعتَ أن تنظم صور القصيدة وخيالاتها في شريطٍ عجيب الروعة.

أشكرك يا سهيل أجمل الشكر، وأرجو أن تذكرني كلما أشعل عازفٌ باريسيّ قوسه.. وكلما طوقتْ عيناك خصراً.. وكلما نزفَ دمُ الوتر ليكتب بحرفٍ من لذة.. **سامبا**.

أنقرة ١٩٥٠/١/١٧

سهيل الرشيق

أقول: رشيق.. لأنني رأيتُ صورتك اليوم في إحدى الجرائد اللبنانية، وقد احتضنتَ ميداء فارعة.. وقد علّقتِ المجلة، ـ وأعتقد أنها **الجمهور** ـ عليها بقولها: «مشكلة من باريس.. سهيل ادريس يرقص البوغي بوغي..».. فضحكتُ بكلّ صدري.. حتى انهارت ضلوعي، وفرحتُ بهذه النهاية الدافئة تصير إليها.. ويصير إليها فنُّك.. وقد

قصصتُ الصورة.. وقصصتُ صورتك من الصورة المشتركة.. وقصصتُ من صورة الحسناء قسمها الأعلى.. بحيث لم يبق منها.. سوى ساقيها.. وهما جميلتان.. مليئتان.. حقاً.. فاحتفظْ أنتَ بالأصل.. وليكن لنا وهْمُ البياض.. وظلالُ الطراوة.. وجثمانُ الشمْع..

لا أزال أصرُّ على أن **سامبا** سهيل ادريس.. جميلة، رغم كَوْنِها عَرْضاً سريعاً.. وإذا أردتَ رأيي الصريح أقول لك إنني أفضّل النقد الذي ينظر الى الآثار الفنيّة هذه النظرة السريعة الملوّنة. لقد كان نقدُك لهذه الرقصة.. رقصةً أيضاً، مشيتَ فيها معي.. خطواتٍ أربعاً.. وانطويتَ انطوائي.. واحترقتَ احتراقي، حتى أتت قطعتُك لحناً مرقّصاً، ونغماً رعوشاً. أضمّ تهنئتي لتهنئة سعيد تقي الدين فنانِ لبنان الكبير.. أقول كبير، لأن رجلاً يكتب قصة مثل «قفزة النهر» جديرٌ بالخلود..

أنا معك في استبعاد نشر ردّي بعد أن مضى عليه الزمن، وفات موسمُه، وكان الأحرى بي أن أبعث بصورة رسالتي إليك الى **بيروت ـ المساء** مباشرةً.. ولكنني ذهلتُ عن ذلك. فليكن ذلك في فرصة أخرى وحسبي أنني أسلتُ قلبي على ريشتي. وشربتَ أنتَ دمَ قلبي.. هذا يكفي..

لم تكتب **الصياد** ولا **الأديب** عن **سامبا**.. وهذا غير مستغرب بعد أن غادر سهيل ادريس المرفأ.. هذا وقد أهديتُ ـ حسب رغبتك ـ الأستاذ قدري القلعجي **سامبا**..

كذلك لم يبعث إليَّ أنور المعداوي بأي شيء! وبهذا المناسبة أريد أن أسألك عن عنوان أنور. فقد وصلتني منه رسالة واحدة ثم انطفأتْ ريشتُه.. أهذا هو ودّ إخواننا المصريين!.

لا أزال أصلّي لك ليقرن الله مساعيك بالتوفيق في قضية الدكتوراه. هل قرأتَ قصة «النجمة الذهبية» المهداة إليك.. في إحدى صفحات **بيروت المساء**؟. أريد أن أسألك.. كيف يسمح الأستاذ عبدالله بنشر هذه الشتيمة الموجهة إليك.. وإلى صميم القصة؟. أعانك الله يا سهيل على المعجبين بك!

الرأي الذي ذكرتُه في رسالتي الماضية... كتبته في نقدك لـ **طفولة نهد**. فماذا أصاب ذاكرتك؟..

ختاماً ماذا أصاب «صباح» فانقطع عن كتابة الرسائل إليَّ؟. إنّ «الدراسة الكثيرة» لا تشفع له في هذا التقصير...

ألف شوق.. وسلامي لساقيْ صاحبة «البوغي بوغي» فهما جميلتان.. ودافئتان..

قُلْ لها ذلك.. أمانة...

انقره في ١٩٥٠/٣/٨

سهيلي الحبيب

حقاً إن باريس جعلتْ منك فنّاناً آخر، وسهيلاً جديداً.. إنّ الجملة التي سُقْتَها لي عن نهدَي البولونية التي تضاجعها من الأدب العالمي: «إنّ نهديَّ قد اكتملا وكبرا من شدّة فركك لهما.. وهذا هو الواقع يا نزار، فأنا أذكر أنني حين داعبتُ نهديها منذ شهرين كانا صغيرين ورخوين بعض الشيء ومتهدّليْن.. أما الآن فقد ترعرعا وانتصبا بشموخ وتحجّر...».

أحلفُ لك.. أنه لولا مستقبلك الذي أحرص عليه.. ومركزك في بعثة المقاصد.. لأثبتُّ هذه الرائعة في صدر **بيروت ـ المساء**، وأطلعتُ الناس في مقالٍ بعشرين صفحة عن نزعة سهيل ادريس العالمية الجديدة!.

هذه الفكرة.. لم تختلج بغير جبينك وجبيني.. ولعلك تذكر أنني كتبتُ مقالاً في **بيروت ـ المساء** أقول فيه: «إنّ النهدَ الذي يدور تحت راحتي يتكوّر ويورق.. بينما هو يذبل وينكمش تحت راحةِ غيري..».

أجل يا سهيل، إنّ أعضاء المرأة جميعاً لم تكتسب أشكالها النهائية.. إلا بفعل الرجل وتمسيده لهذه الأعضاء.. سُرّة المرأة ليست إلاّ عضّة قديمة ـ تركها رجل مستميت.. إبط المرأة فرجٌ رُكّب في غير موضعه.. أي على المقلوب.. الى غير ذلك من الحقائق التي لا تخفى على ذكائك..

هززتَ بدني.. حين حدّثْتَني.. عن جماعة العلماء الذين غضبوا عليك.. أما زلتَ خاضعاً لسلطان هؤلاء المهرّجين؟. يجب أن تنسى البسطة التحتا قليلاً وأنت في شارع البانتيون وإلاّ حكمتُ عليك بالجبن والخوف من الأشباح..

أريدُ منك أن تثبت الفكرة الأولى التي أثبتُّها في صدر هذه الرسالة في إحدى قصصك، وسترى كيف ستكون هذه القصة سيدة القصص.

مقالي عن سعيد تقي الدين.. ليس ثرثرة جميلة فقط.. ولكنه نهرٌ من الحقائق.. والآراء الفنيّة. الثرثرة ـ التي هي كلام فارغ ـ شيء.. ودلالُ الريشة الموهوبة التيّاهة المَيُود.. شيء آخر. لا تستطيع أن تكفر بسحر هذه الأصباغ التي تفرزها عيون ريشتي. أنا جامع جواهر.. وغاوي مسافات.. ومستودع نعومات..

ثم.. لماذا يطيب لك أن تصوّر سعيد تقي الدين بمظهر النادم على تصريحه بحق شعري؟. إنّ طبيعة الأشياء تمنع سعيد تقي الدين من أن يقول غير هذا القول.. إنّ مديحي هو قانون لا تملك له تغييراً.. تماماً كما يسقط الحجر تبعاً لقانون الجاذبية.. وكما يتبخر الماء بفعل الحرارة.. وكما يتحجر النهد بفعل المداعبة والتدليك. إنّ سعيد تقي الدين رجل يبوح بما يحس به، ولو أراد أن يقول غير ذلك لقاله. وأنا لم أمدحه لأنه مدحني ولكنْ لأنّ أدبه فوق مستوى الأرض..

أما قولتي: «إنّ الروح التي تصنع قاموسها خير من الروح التي يصنعها القاموس» فهي لا تعنيك أبداً ولا أقصدك بها، لأنك فنّان أصيل تتدفّق الذاتية منك كما يتدفق الحليب من الثدي الخيّر..

قصتك «Tristesse» رشيقة، وإنّ آل ادريس جميعاً اشتركوا فيها: سيدتي والدتك، والغالية وجيهة.. وسعادتك. بقي أن تعرفني على اسم الآنسة البيروتية التي دقّت لك على الصندوق سمع.. وربطت الزنبرك.. ورضي أهلها أن تستقبلك في غرفتها لتطربك.. هذه القصّة مكتوبة لشخص واحد في بيروت.. عنده جرامافون.. واسطوانات.. ولكن ليس عنده ـ أو عندها ـ المفتاح الطويل الذي يربط الزنبرك!.. لقد أخذتَ هذا المفتاح معك.. وتركتَ المسكينة بدون مفتاح.. بدون طرب.. بدون تقفيل. لعنةُ الله عليك.. وعلى صاحبة الصندوق السمع!.

هذه القصة واقعية.. وهي رسالة غرام بدون شك..

أعجبتني جرأتك في وضع عنوان القصة «بالافرنسية» والاستشهاد ببعض أبيات الشعر الفرنسي.. وأعتقد أنك ستتعرض لحملة.. ولكن لا تخف ما دام مبدأ «طز» معمولاً به لدينا! وأعترف هنا أنك سبقتني إلى ذلك لأنني كنتُ أريد أن أعنون قصيدتي «الظفر الصبيغ» التي أرسلتها لك في بيروت بـ «Manicure» ولكنني خفتُ.. وتراجعتُ.. وبهذا كنتَ أشدّ جرأة في هذا الباب فقط!..

هل قرأت في **الأديب** «الى لئيمة» وما رأيك فيها.. يا مسيو بوالو؟

إذا بيع من **سامبا** نسختان في يوم واحد فلا عجب.. لو كان هناك مليون نسخة لبيعت.. المسألة مسألة عظمة.. وشخصية.. وشهرة سدّت نوافذ الأصابيح.. معلوم يا عمّي!.. شو بدنا نعمل.. الله لا يحرم العزّ لحدا!..

كيف حال صباح؟ عينك عليه، الله يرضى عليك يا سهيل، وأرجو أن تشجّعه وتدفعه الى العمل.. والى الشهرة أيضاً.. فكلّنا مدينون لك. ثم لا تنسَ أن تبعث باحترامي الى السيدة والدتك ـ أريد معرفة اسمها في رسالة قادمة بدون تعرّض للعِرْض ـ كما أنني أبعث بتحياتي، وتحيات زهراء اليك والى الغالية وجيهة.

وختاماً لك مني الحب العريق العريض واسلم لمفتاح الصندوق السمع!...

أنقرة ١٣/٤/١٩٥٠

الحبيب الحبيب سهيل

هذا الشهر عندي شهر حسابات وأرقام وجرد أثاث المفوضية.. مع أحد رجال محاسبة الخارجية.. لذلك تراني منرفزاً.. أجمع ٤ الى ٤ فتطلع معي ١٦ وأضرب ٤ بـ ٤ فيكون المجموع ٨ ثم أعدّ الكنبايات فتزيد «قلطقاً» وأعدّها بعد الغداء فينقص قلطقان وكنباية وثلاث مخدات..

يلعن دين هالعلم.. هللي بيختلف قبل الغداء وبعده..

قال لي أحد الزملاء: سعادتك تفضّل استريح.. لأننا بدونك «بنشهّل» أكثر.. ولولاك لانتهى العمل قبل أسابيع..

ما هذا المخّ يا سهيل؟ مخّي ومخّك ومخّ صباح؟ أنا أستطيع أن أفهم أن فماً وفماً يساويان قبلة.. ولكنني لا أتصور هذه العلامة الملعونة ٤٤√ وتحتها خنفستان فتحتا أرجلهما...

أستطيع أن أقيس طول الساق.. وعرضها.. ورجرجة لبّتها.. وأشمّ حتى مانيكور ظفر القدم.. وأقيس ـ بالظنّ ـ درجة حرارة الحلمة.. ولكنني لا أفهم لا هذي.. X ولا هذي + ولا هذي %.. ولا خاتمة المصائب هذي√..

إما أن نكون نحن مجانين... أو يكون الذين اخترعوا هذه مجانين..

سرّني امتناعك عن النشر نهائياً.. والحقيقة يا سهيل أنك كنت تضيع وقتك بما لا طائل تحته وبما لا ينفع الناس وما لا ينفعك[1].

ماذا يهمّ الناس من صعودك مع صباح الى برج إيفل.. بالسموكن.. والبستون؟. ألم يكن أنفع لك أن تعيش المدّة أو الزمان الذي كتبتَ فيه المقال بين ضفّتيْ كتاب.. أو بين ذراعيْ امرأة؟.

إنّ هذه الخطوة الجريئة هي دليل عبقريتك بدون شك، لأن الرجل الذي يستطيع أن ينطبق على نفسه ثلاث سنوات.. ويضحّي بشهرة اكتسبها بحدّ السيف، شخصٌ يستحقّ التهنئة..

هذا كلام يصدر عن شخص يحبّك فوق استطاعة الحب.. فلا تستمع لقول غير هذا القول، فإن ظاهره حبّ.. وباطنه كراهية..

أصل الى أنور المعداوي.. الناقد الذي سمّيته أنت ناقداً وسميته أنا أديباً.. فصار يحق له أن يخاطبنا بلهجة الأمبراطور غليوم.. وحسني الزعيم المرحوم.. وإذا ابتسم أنور المعداوي لما كتبه سعيد تقي الدين عني، فماذا أفعل أنا أمام المقالات التي يخاطب بها سعادته طه حسين.. وتوفيق الحكيم.. بـ «صديقي».. و«زميلي».. ويقول لتوفيق الحكيم أنت لا تفهم معنى الأدب والحياة.. ويقول لطه حسين إن كلامك «فاضي»؟. هل يسمح لنا المعداوي إذن أن «نشخر» بدل الابتسام؟.. اسمع يا سهيل.. قد لا تكون **سامبا** أحسن ما في الشعر المعاصر، وقد يكون سعيد تقي الدين مبالغاً فيما كتبه عني.. ولكنْ ليس لأنور المعداوي أن يقرّر صحة أقوال سعيد تقي الدين لأن المعداوي لا يحفظ سوى شعر اسماعيل ياسين... وشكوكو.. ومنيرة المهدية.. اذا كان للأخيرة شعر...

لا.. لن يكون بيني وبين المعداوي عداوة ولا مناقشة.. لأنني لا أحبّ «الشخير» كثيراً.. وخصوصاً على صفحات الجرائد.. أما «قفزة النهر» وأما «الطابة الخضراء»[2].. فلا يستطيع جبين «شكوكو» الصغير.. أن يرتفع لأجوائهما.. حمودة فايت.. يا بنت الجيران!..

هذا ما عندي للمذكور. أما لك ولصباح فلا يوجد إلا الهوى الجامح والشوق السفيح.

---

١ ـ لم أكن قد أسستُ، مع نزار، دار الآداب عام ١٩٥٦، وهي الدار التي ما زالت مستمرة حتى الآن!

٢ ـ عنوانا قصتين لسعيد تقي الدين.

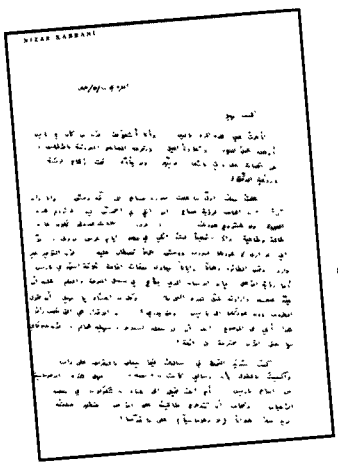

أنقرة ١٠/٥/١٩٥٠

الحبيب سهيل

تأخرتَ عني هذه المرة يا لعين.. وأنا أشفعُ لك لأن مَنْ كان في باريس أذهله عَمَلُ النهار.. وشقاوةُ الليل.. وزقزقةُ المضاجع المفروشة بالأطلس، عن الكتابة على ورقٍ ناشف.. لا يهزّ.. ولا يتأوّه.. تحت إلحاح الريشة.. وروعَةِ الدفْق!..

علمتُ منك أولّ ما علمت بعودة «صباح» الى أزقّة دمشق.. وأنا وإن كنتُ شديد الحاجة لرؤية صباح إلا أنني لم أتحمّس كثيراً لمشروع هذه العودة ولا لمشروع عودتك.. أنا أعرف أن الغربة الأولى تكون عادةً ظالمة وطاغية، وأنا شخصياً كنتُ

أبكي في مصر أيام غربتي الأولى، إلاّ أني لا أرى في عودتكما لبيروت ودمشق عملاً تُغبطان عليه.. لأن التوفير غير وارد، وثمن الطائرة ذهاباً وإياباً يعادل نفقات إقامة ثلاثة أشهر في باريس. أما رؤية الأهل فإن الإنسان الذي يكافح في سبيل المعرفة والعلم عليه أن يعدّ نفسه وإرادته لمثل هذه التجربة.. وكل ما أخشاه يا سهيل أن تحول الظروف دون عودتكما الى باريس.. ومن يدري؟.. إن الأقدار هي التي تلعب دائماً.. هذا رأيي في الموضوع أرجو أن لا تنقله لسيدتي «سهيلة هانم»[1] لأن علاقاتي بها حتى الآن محترمة بل رائعة!..

كنتَ شديدَ التحفّظ في رسالتك فيما يتعلق بالتقريق على ذات[2] ... واكتفيتَ بالقول بأن رسالتي كانت «مسخنة»[3] فهل هذه الدبلوماسية من إنتاج باريس؟. أم أنك تميل الى غناء «شكوكو» في بعض الأحيان.. وتخاف أن تتدحرج طاقيتُه على الأرض.. فتظهر صلعته؟. نريد منك جواباً «لادبلوماسياً» على ما قدّمنا!..

سيكون اسم مجموعتي الشعرية الجديدة: **أنتِ لي** وقد تخلّيتُ عن عنوان «سلّة ورد..» لأن العنوان الثاني.. أطرى.. وأفرفش.. وسأطبعُه اذا انتهينا من القطيعة.. في المطبعة الكاثوليكية في بيروت.. وإلاّ ففي دمشق لأنني لا أريد أن تقف في وجهي حواجز التصدير..

أعتقد أن مأذونيتي ستكون في منتصف حزيران، فاذا كنتَ مصمّماً على المجيء الى لبنان.. فسأكحّل عينيّ بطيفك الحلو في دمشق.. ولا تنس أن تخبرني عن موعد قدومك.. بتليفون.. أو برسالة.. أو بصيحة..

لك مني ومن زوجتي ومن هدباء وتوفيق عصارة الشوق

---

١ ـ وهي أُمّي.

٢ ـ هكذا في الأصل. وربّما كان المقصود: علي الطنطاوي.

٣ ـ أي خفيفة الدم.

أنقرة ١٩٥١/١/٢

عزيزي سهيل

كتبتُ إليك في بيروت فأجبتني من باريس، وأخاف أن أكتب إليك الى باريس فتجيبني من بحمدون بعد عشرة شهور، وهذه حال لا يرضى عنها الدفء، ولباقة الهوى.. ولا علم «الجغرافيا» حتّى..

لا أدري ماذا منعك عني وأنت في بيروت.. أهو بقلاوة الصمدي.. أم صاحبة «صندوق السمع».. أم شهادتا الجامعة اليسوعية[1]... أم عناق السيدة الحبيبة والدتك؟. وهذا الأخير ـ أي العناق الحنون ـ هو الوحيد الذي يشفع لك.. وأما سوى ذلك.. فَعِلاكٌ مهترئ ومصدّئ معاً..

حدثني صباح عن أفراحكما وغواياتكما في لبنان، على مطلاّت العبير والأنداء. وحدثني عمّا لقيه منك ومن أسرتك العطوف من عاطفة صافية ووجدٍ أصيل. هذه الأشياء مزروعة بكم، انزراعَ الحلمة في قمة الطافر الواثب.. فلا مجال للحديث عن آل ادريس، فهم كفصائل الورد يتحلّبون رونقاً وأريجاً..

شهادتاك يا سهيل شهادتاي. ولعلك تذكر أنني كنتُ أول من صاح بك من وراء الآماد: «الدكتوراه.. يا سهيل، ولا شيء غير الدكتوراه».. فسواها حصادٌ تافه. وقد استجاب الله لي، وأنت أنت، فاذا بك تبشرّني هذه البشرى الجميلة. مرحى يا سهيل.. والى القمّة المعطية..

لا مشاريع شعرية جديدة، وإنما خطوط وتلاوين لدرب جديدة تضطرب في جبيني.. وأرجو أن تضطرب على الورق قريباً..

الشتاء هنا بدأ يضحك، وتضحك معه شفاه الثلج. زوجي تبعث إليك بتحياتها وكذلك بقية الدائرة.

حبّي الغامر.. ولا تتأخر..

---

١ ـ إشارة إلى شهادتين حصلت عليهما من الجامعة اليسوعية على مؤلّفاتي القصصيّة التي كانت قد صدرت آنذاك، وساعدتاني في الحصول على دبلوم اعتُبر بمثابة ليسانس للعبور إلى التقدُّم للدكتوراه الجامعية في السوربون بباريس.

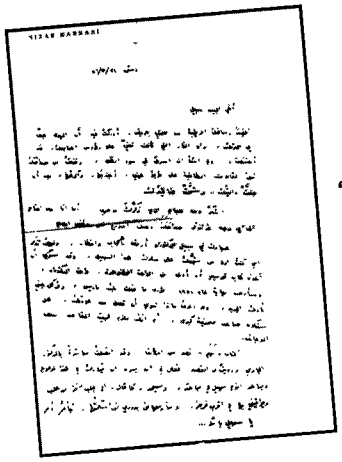

دمشق ١٩٥١/٥/٣١

أخي الحبيب سهيل

تلقيتُ رسالتك الرطيبة بعد صمتٍ عريض، أدركتُ فيه أنّ الهوى جفّ في محبرتك، وأن النار التي كانت تغنّي على رؤوس أصابعك قد اختنقت، ولم أشأ أن أسرفَ في سوء الظنّ، وقنعتُ من صداقتك بتلك الثمالات الطافية على بؤبؤ عيني، أجذبُها، وأكرعُها، بعد أن جفَّتْ داليتُك.. وشحَّتْ عناقيدُك..

أشكرُ وجه صباح الذي ذكَّرك بوجهي.. أما أنا فلا أحتاج الى أي وجه لأتذكر صداقتك وحبك المنزرع على مصطفق الضلع.

جهادك في سبيل الدكتوراه أرمقه بإكبار وانتظار، ولعلك تذكر أنني كنتُ أول من شجّعك على سلوك هذا السبيل. وقد سرّني أن تكون قاب قوسين أو أدنى من الواحة المخضوضرة.. واحة الدكتوراه، وسأرقب نهاية عام ١٩٥١ لأرى ما فعلتْ بك باريس، ولأكحّل عيني بأدبك الجديد. ولا أعرف ماذا تنوي أن تفعل بعد عودتك، هل ستكون صاحب صحيفة كبرى، أم أنك ملزم لجمعية المقاصد ببعض الوجائب؟

كتاب **نَهَم** [لشكيب الجابري] نفد من المكاتب. وقد اتصلتُ مباشرةً بالدكتور الجابري ورويتُ له القصة فقال لي إنه يسرّه أن يشارك في هذا الموضوع ويساعد الأخ سهيل في مباحثه، وسيعمد ـ كما قال ـ الى جلب نسخة من حلب ويوافيني بها في أقرب فرصة. وسأرسلها لك بدوري متى استلمتها. بتأمر أمر يا سهيل باشا.

تلقينا أمس برقية ضاحكة من صباح اهتز لها البيت بما فيه، وهذه البرقية تكشف عن نجاحه في السرتفيكا الأولى.. والذي يعرف الحيرة التي غرق فيها صباح والقلق الذي استولى عليه يهتز لنبأ نجاحه. هنئه عن لساني وقل له أن يحضّر السرتفيكا الثانية لدورة تشرين الأول كما وعدني.

ومني ومن زوجتي، ومن هدباء، وتوفيق لك أطيب الأشواق، أخي الحبيب

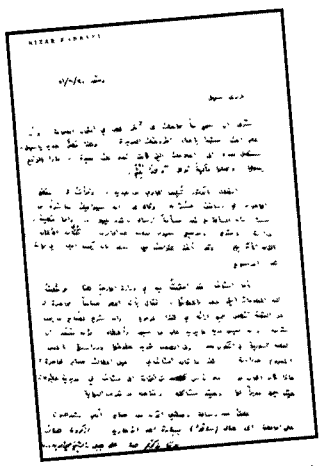

أنقرة ١٩٥١/٦/٣٠

عزيزي سهيل

سرّني أن أسمع نبأ نجاحك في آخر فحص في امتحان الصحافة.. وأن أعلم أنك ستبدأ بإعداد أطروحتك العتيدة. وهذا نصرٌ جديد يا سهيل، ستصل بعده الى أحلامك التي كانت تبدو لك بعيدة، فإذا بالواقع يبلورها.. ويجعلها فاكهةً تؤكل.. ومجداً يُلْثَم..

اتّصلتُ بالدكتور شكيب الجابري[1] من جديد، وقرأتُ له المقطع الخاصّ به في رسالتك، فسُرّ به وقال لي إنه سيوافيك مباشرةً بما طلبت لأن المسألة لم تعد مسألة إرسال **قدر يلهو**.. وإنما قضية.. دراسة.. وشرح.. وتوضيح لمفهوم القصّة عند الجابري والكُتّاب الألمان الذين تأثّر بهم. وقد أخذ عنوانك مني ووعد بأن يكتب إليك في نهاية هذا الأسبوع.

أما الشائب[2] فقد اجتمعتُ إليه في وزارة الخارجية هنا.. وطلبتُ اليه المعلومات التي وعد بإعطائها، فقال بأنه أعطى «صباحاً» محاضرةً له عن القصة تتضمن جميع آرائه في هذا الموضوع، وأنّه شرح لصباح ما يجب شرحه وأنه

---

١ ـ الروائيّ السوري، مؤلف **نهم**، و**قدر يلهو**.

٢ ـ فؤاد الشايب، القصّاص السوريّ، مؤلف **تاريخ جُرْح**.

ليس لديه ما يزيد على ما سبق وأعطاه. لأنه يعتقد أن القصة السورية لم تتكون بعد.. ومن الصعب تحديد خطواتها ودراستها بالمعنى المفهوم للدراسة. هذا ما قاله الشائب لي. فهل أعطاك «صباح» المحاضرة؟ فاذا كان الجواب لا.. فلا بأس من الكتابة الى الشائب في مديرية المطبوعات حيث يعمل مديراً لها، وحيث مشاكله.. ومتاعبه لا تعرف النهاية.

علمتُ من رسالة وصلتني الآن من صباح أنكم ستذهبون الى جبال «سافوا» بسيارة أحد الأجاويد.. اذكرونا هناك لأننا نذكركم هنا.. على جبل «الشيخ محي الدين..».

وإذا كنت لا تعرف ما هو «جبل الشيخ محي الدين».. فاسأل صباحاً.. عن المتزحلقات الفلت ت على «قرعة».. الشيخ المومأ اليه..

قل لصباح أن يراجع شركة اير فرانس للحصول على الطرد الموجود باسمه في مركز الشركة.. وقد كتبتُ له أكثر من مرة في هذا الموضوع، وبعثتُ له بجميع تفصيلات الطرد والطائرة..

لكْ.. شو هالكسلنه؟.

ختاماً تحيات دافئة لك.. لمظهر.. لصباح..

وخاطركُمْ..

لندن ١٠/١/١٩٩٢

حبيبنا سهيل،

سلامة رأسك[١]، فرأسُكَ هو عزُّنا، وفخرُنا، ومنارتُنا.. في عالم عربي لم يبق فيه سوى رؤوس البندورة...

قلقتُ عليكَ كثيراً.. حتى نسيتُ أوجاعَ عَصْعُوصي.. لأنَّ الانسان لا يفكّر بعَصْعُوصِه.. وإنما يفكر برأسه... ولكن لما جاءت الأخت حنان[٢] حاملةً إليَّ رسالتك، ورأيتُ خطَّكَ الجميل.. اطمأننت على ملكاتكَ العقلية.. والفنيّة..

أنا مرتاحٌ في بلاد الضباب والسماوات الرمادية.. لأن ضبابَنا هنا أحسن بكثير من صحوكم البزرميطي..

وعلى فكرة فقد كتبتُ مقالة في جريدة **الحياة** اللندنية، حول هذا الموضوع أسميتُها «حزب المطر».. قلتُ فيها إن السماوات العربية الزرقاء حوّلتْني الى «جَرَادة مُقدَّدة».. لذلك قرّرتُ الانتماء إلى «حزب المطر»..

اطمأننتُ منك ومن رنا[٣] على أن شعري لم يتأثر كثيراً بحرب داحس والغبراء.. وهذا يؤكد أن استراتيجيتي الشعرية هي أعظم من استراتيجية العرب العسكرية..

الى أين وصل القاموس[٤]؟ شدّ حيلك يا سهيل، فإننا أصبحنا في المقلب الثاني من العمر.. ونريد أن نفرح بعملٍ عظيم لك..

اكتبْ لي من حين الى آخر.. حتى أنسى خط رنا الخنفشاريّ.

تحيات من القلب لكم جميعاً.. والله يرعاك ويحميك دائماً.

---

١ ـ إشارة إلى خبر تلقّاه نزار عن حادث وقع لي في «الدار البيضاء» بالمغرب حين ضربتني درّاجة هوجاء فسقطتُ مصاباً في رأسي برضّة أحدثت نزيفاً، وكان من الضروري إجراء جراحة في الرأس لنزع التخثّر الدموي منه.

٢ ـ الروائية حنان الشيخ.

٣ ـ ابنتي رنا، مديرة دار الآداب

٣ ـ إشارة الى القاموس **المنهل العربيّ** الذي ما زال قيد الإعداد، وينجزه معي ابني سماح.

لندن ١٦/٣/١٩٩٢

نزار وغادة السمان وسهيل إدريس وعائدة مطرجي إدريس في احد المتاحف

الغالي سهيل،

سعدتُ كثيراً برسالتك، وفرحتُ بعودة «الديك» الى دجاجاته، ليمارسَ واجباته القومية.. بعد أن أصيبت القوميةُ العربيةُ بعِنَّة مُزْمِنَة حرمْتها من القدرة على الانتصاب.. جسدياً.. وفكرياً.. وعقائدياً.. وحضارياً..

كما سعدتُ بقرب صدور «المنهل العربيّ» الذي أحرقتَ له شموعَ عمرك، وأعطيتَه من ضوء عينيك.

إنني أحلم، من زمنٍ بعيد، بقاموسٍ ثوريّ وشجاع، ينفض عن اللغة العربية غبارَها، وينظّفُ زجاجَها، ويقنعها بأن تترك الملاءة.. وتجرّب أزياء ڤالنتينو.. وإيڤ سان لوران..

وأتصوّر أن العزيز سماح يستطيع أن يُغْنيَ القاموس بألوان حداثته، ونَبْض شبابه، ويَدْخل المغامرةَ اللغوية بلا عُقَدٍ.. ولا خوف.. من سلطة التاريخ، وسلطة الموتى..

رجعتُ من باريس منذ أسبوع، حيث أقمتُ أمسية شعرية ناجحة جداً في معهد العالم العربي. جمعتُ فيها كلَّ المعذبين في الأرض.. واكتشفتُ أن الشعر، في غياب الأوطان، يستطيع أن يكون وطناً بديلاً.. وأنّ الكلمة لا تزالُ سلطةً أكبر من كل السلطات..

أنا في لندن، أتنفّس فوق أوراقي.. وأتسكع تحت أمطار حريّتي.. وأعيش الشرط الإنساني الضروري لكل كاتبٍ.

لم يعد يزعجني المنفى.. لأنه صار وردةً في عروةِ ثوبي.. وخاتماً من الفيروز في إصبعي..

شكراً لكتب دار الآداب التي ستكون صديقتي في شتاء لندن. وأرجو أن تنقل للعزيزة عايدة أطيب مشاعر الشوق مني ومن هدباء وزينب وعمر.

والى أن نلتقي، أرجو لك السعادة، والسلام، والعمر الطويل.

لندن ١٣ تشرين الأول ١٩٩٥

سهيل، أيُّها الكبير،

أبكَتْني كلماتُكَ المُدْهِشة[١]، أيّها المعلّمُ الذي درستُ على يديه أبجديّة الزهو والعنفوان.

شهاداتُك عنّي، أعلّقُها دائماً على جدار القلب، لأنّها شهادات رَجُلٍ لم يُهادِنْ، ولم يُساوِمْ، ولم يُحوّل قلمه خلال خمسينَ عاماً الى جاريةٍ في سوق الإماء..

أحمدُ الله، يا سهيل، لأنّني تخرَّجْتُ من مدرسة الكبرياء التي أسَّستَها..

وأحمدُ الله، لأنني عاصرتُكْ... وأحمدُ الله، لأنّكَ صديقي...

نزار قباني

---

١ ـ في فاكس بعثتُ به الى الشاعر، تعليقاً على ردّ نجيب محفوظ على قصيدة «المهرولون»، ثم على ردّ نزار على نجيب محفوظ.